التأثر والتأثير في الأدب المقارن

معالم التأثر والتأثير:

إنّ فكرة التأثر والتأثير من المفاهيم الضرورية والمهمة في الأدب المقارن وقضاياه المختلفة ذات الصلة بمضامينه، فهو يشكل عماد موضوعات الأدب المقارن، وإن اختلفت مدارسه وتعددت رؤاها إضافة لفكرة الوسائل، والصلات التاريخية المنبثق عنها، إذ يرى الكثير من دارسي الأدب المقارن أنّ جوهر الدراسات المقارنة، هو التأثر والتأثير الذي يُمارس من مؤلف على آخر أو من آداب على أخرى، وانتشار هذه التأثيرات. ولا بد من حضور فكرة القومية في هذه الدراسات، التي تتعمق في التفاصيل، بينما يرى الناقد الأمريكي رينيه ويلك: أنه من الضروري أن يدخل التأمل ضمن التأثيرات، لذلك فهو في كتابه تمييزات يدين المنهج الفرنسي في دراسة العلاقات الأدبية والتأثيرات. وقد ذهب الكثير من الدارسين إلى التفريق بين التأثر والتأثير في موضوعات الأدب المقارن، وعدم النظر إليهما كمسار واحد، فهم يرون التأثر على أنه فعل إرادي من المُرْسَل إليه، اتجاه الرسالة التي بعثها المُرْسِل. وتكون مصادر المُرْسَل إليه في تأثره من كتاب، أو كاتِب، أو أدب كامل، من آداب أجنبية مختلفة عن أدبه القومي، وقد يكون جنس النص الذي تأثر به أدبيّا، ولكن مصادره غير أدبيّة. ويأتي التأثر على نوعين: فهو إما أن يكون مباشرا من خلال التركيز على كاتب معين، أو جنس أدبي ما، أو مدرسة أدبية بذاتها، ويسهل معرفته وتحديد مصادره، أو غير مباشر من خلال استيعاب ما سلف، وصياغته بأسلوب جديد ليس من السهل تحديده وكشفه. أسباب التأثر ضمن موضوعات الأدب المقارن ويمكن الكشف عن التأثّر في موضوعات الأدب المقارن من خلال نص المتأثِّر، لتحديد مصادره التي اعتمدها المتأثِّر في أدبه بناء على سبقها زمنيّا، ومن خلال تصريحات المتأثر عن مصادر ثقافته، ويقع التأثر في موضوعات الأدب المقارن لسبب من الأسباب التالية:

الهجرات السياسية أو الاجتماعية أو الطبيعية، فيتأثر الأدباء المهاجرون بثقافات البلدان التي هاجروا إليها.

أنواع التأثر:

التأثر التأويلي (تأويل الكاتب)

هو تأويل أو تفسير أو رؤية الأديب لما يقرأه من الآداب الأخرى. كتأثر صوفية الفرس بالإسلام والقرآن الكريم تأثراً تأويلياً؛ لأنهم أدخلوا في تأثرهم به كثيراً من فلسفة أفلاطون وأفلوطين، ومن مبادئ التصوف الهندي والإيراني القديم. ولكنهم فهموا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أي بعد أن أخضعوهما لآرائهم وطنوا أنهم لهما خاضعون. ومع ذلك فهم يعدون متأثرين بالقرآن والحديث عن طريق التأويل.

التأثر العكسي(سلبي)

وهو ما يقبل الرافد الأجنبي لكنه يناقشه ويرد عليه بموقف مخالف. كموقف عباس العقاد من إحدى الرباعيات المنسوبة إلى عمر الخيام، ورده عليها شعراً كذلك. وكموقف أحمد شوقي من "كليوبترا" التي جعلها وطنية في حين ركز الغربيون على ملاذها واستهتارها.